العدد ٢٠١٩/٢٧

الأحد ٧ تموز

تذكار البار توما

والشهيدة كرياكي

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثالث

الرسالة

(رومية ٥: ١–١٠)

يا إخوةُ إذ قد بُرّرنا بالإيمانِ فلنا سلامٌ مع اللهِ بربِّنا يسوعَ المسيح* الذي به حصل أيضًا الدخولُ بالإيمانِ إلى هذه النعمةِ التي نحنُ فيها مُقيمون ومفتَخِرون في رجاءِ مجدِ اللهِ* وليس هذا فقط بل أيضاً نفتَخِرُ بالشدائدِ عالِمين أن الشِدَّةَ تُنشِئُ الصبرَ* والصبرُ يُنشِئُ الإمتحانَ والإمتحانُ الرجاءَ* والرجاءُ لا يُخزي. لأنَّ محبَّةَ اللهِ قد أُفيضَت في قلوبِنا بالروحِ القدسِ الذي أُعطِيَ لنا* لأنَّ المسيحَ إذ كُنَّا بعدُ ضُعَفاءَ ماتَ في الأوانِ عنِ المنافقين* ولا يكادُ أحدٌ يموتُ عن بارٍّ. فلعلَّ أحدًا يُقدِمُ على أن يموتَ عن صالحٍ* أمّا اللهُ فيدُلُّ على محبَّتِهِ لنا بأنَّهُ إذ كنَّا خطأةً بعدُ* ماتَ المسيحُ عنَّا. فبالأحرى كثيرًا إذ قد بُرّرنا بدمِهِ

القديس يوسف الدمشقي

تعيّد كنيستنا المقدّسة في ١٠ تمّوز للقدّيس الشهيد في الكهنة يوسف الدمشقيّ الذي أعلن المجمع الأنطاكيّ المقدّس قداستَه في ٨ تشرين الأوّل ١٩٩٣.

هو الأب يوسف بن جرجس موسى بن مهنّا الحدّاد، بيروتيّ الأصل، دمشقيّ الموطن. ترك والدُه بيروت في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وذهب ليستقرّ في دمشق حيث عمل في صناعة النسيج، وتزوّج وأنجب ثلاثة أولاد ذكور هم موسى وإبراهيم ويوسف.

وُلد يوسف في دمشق عام ١٧٩٣. تلقّى بعض التعليم، فألمّ باللّغة العربيّة والقليل من اليونانيّة. إنقطع عن التعلّم بسبب ضيق حال والده، فصار يعمل نهارًا ويدرس ليلًا. تسنّى له أن يتتلمذ على علّامة عصره، الشيخ محمّد العطّار الدمشقيّ، فأخذ عنه العربيّة والمناظرة والمنطق والعلوم العقليّة. لكنّه تراجع مجدّدًا، لأنّ أجور التعليم وثمن الكتب أثقلت عليه وعلى والديه، فعاد إلى سابق وتيرته، أي العمل نهارًا والمطالعة ليلًا. إنكبَّ أيضًا على دراسة التوراة والمزامير والعهد الجديد فأخذ يقابل النسخة اليونانيّة مع العربيّة، والعربيّة مع اليونانيّة، حتّى أتقن فن الترجمة. بعد ذلك تعلَّمَ العِبريَّةَ من أحد تلامذته اليهود.

تزوّج يوسف في التاسعة عشرة من عمره. بعدما شاع ذكره بين الناس، لفت انتباه رعية دمشق، فطلبوا من البطريرك سيرافيم أن يجعله راعيًا لهم، فسامه شمّاسًا ثمّ كاهنًا خلال أسبوع. أعطاه البطريرك ميثوديوس لقب «مدبِّر عظيم» بعدما عهد فيه الغيرة والتُّقى والعلم والإقدام.

إهتمّ يوسف بالوعظ في الكاتدرائيّة المريميّة لسنوات طويلة وكان دؤوبًا في مؤاساة البؤساء والحزانى ومساعدة الفقراء وتقوية المرضى. سعى إلى صرف الشعب المؤمن عن الكثير من العادات الشائعة، ممّا لا يتّفق واستقامة الرأي، فأثّر كلامُه في النفوس ونجح في تغيير الكثير من العادات.

إنتقل الكاهن يوسف إلى المدرسة البطريركيّة سنة ١٨٣٦، فضمّ إليها التلامذة الذين كان يعلّمهم في بيته، ولم يلبث أن طوّرها فعمد إلى

توسيعها فاجتذبت طلّاب العلم من أرجاء سوريا ولبنان. وقد كان الأب يوسف أحد الذين علّموا في مدرسة البلمند الإكليريكيّة بين العامَين ١٨٣٣ و١٨٤٠.

كان عملُه الكتابيّ غزيرًا، أظهر فيه تنقيبًا واسعًا وأمانةً ودقّة. أسهَمَ في نقل الكثير من الكتب الليتورجيّة وغيرها من المؤلّفات إلى العربيّة، أو مقابلة النصوص مع اللّغة الأصليّة وتنقيحها. أمّا هو فلم يترك سوى بعض المقالات، ربّما لأنّ وقته لم يسمح بذلك، أو لأنّه لم يحسب نفسه مستحقًّا لمجاراة الآباء في نتاجهم.

لا شك في أنّ الأب يوسف مهنّا الحدّاد كان رجل النهضة الأوّل في الكنيسة الأنطاكيّة، خلال القرن التاسع عشر. كانت الرعيّة في وادٍ والرعاة في وادٍ آخر. كان البطاركة، منذ العام ١٧٢٤، غرباء عن البلاد ومعاناة شعبها، فكانت أنطاكية سفينة تكدّها الأمواج وتهدّدها بالتفكّك والغرق. وسط الأخطار والتحديات، نبتَ الأب يوسف فرعًا جديدًا غيورًا على ما لله.

سيرةُ الكاهن يوسف وغيرتُه وتقواه وفقره وشغفُه بالمعرفة، إضافةً إلى عمله الرعائيّ الدؤوب ووعظه وإرشاده، وترجماته ومقالاته، ومدرسته وسهره، كلّ هذا وغيره خلق مناخًا نهضويًّا حرّكَ النفوس وبعثَ الروح من جديد وشحذَ الهمم. ظهرَ جيلٌ جديد وفكرٌ جديد وتوجّه جديد. كثيرون من تلاميذه أصبحوا كهنةً ومطارنة وبطاركة ومدراء مؤسّسات فاعلة في الكنيسة. إذًا، ما كان يرجوه تحقَّق بعضُه في أيّامه وبعضُه بعد رقاده. كلّ هذا وسواه يفسّر قول المثلّث الرحمة متروبوليت بيروت غفرائيل شاتيلا عن أنّ كواكب دمشق هم ثلاثة: بولس الرسول ويوحنّا الدمشقيّ ويوسف مهنّا الحدّاد.

عندما بدأت مجزرة العام ١٨٦٠ في دمشق، في التاسع من تمّوز، لجأ عدد كبير من المؤمنين إلى الكاتدرائيّة المريميّة بعدما سُدَّت منافذ الهرب. كان الأب يوسف يحتفظ في بيته بالذخيرة المقدّسة، على حسب عادة كهنة دمشق آنذاك، فأخذها وخرج باتّجاه الكاتدرائيّة المريميّة قافزًا فوق سطوح البيوت. أمضى بقيّة ذلك النهار، واللّيل بطوله، يشدّد المؤمنين ويشجّعهم على مواجهة المصير، إذا كان لا بدّ منه، قائلًا لهم ألّا يخافوا من الذين يقتلون الجسد لأنّ النفس لا يقدرون أن يقتلوها، وإنّ أكاليل المجد قد أُعدّت للّذين أسلموا أمرهم لله بالإيمان بالربّ يسوع المسيح، وكان يروي لهم قصص الشهداء الأبرار ويدعوهم إلى التمثّل بهم.

صباح اليوم التالي، العاشر من تمّوز، حصلت على المريميّة هجمة شرسة. أخذ المهاجمون بالسلب والنّهب والقتل والحرق، فسقط كثيرون شهداء، وتمكّن آخرون من الخروج إلى الأزقّة والطُّرق، وكان الأب يوسف من بينهم متستّرًا بعباءة. سار الكاهن بضعة أمتار إلى أن وصل إلى الناحية المدعوّة «مئذنة الشّحم»، فعرفه أحد المهاجمين، وكان واحدًا من العلماء الذي قد سبق ليوسف أن أفحمه في جدال فأضمر له الشرّ. هذا، لمّا وقع نظره عليه صاح بَمن كانوا معه: «هذا إمام النصارى. إذا قتلناه قتلنا معه كلّ النصارى!». هنا، أدرك الأب يوسف أنّ ساعته قد دنت، فأخرج الذخيرة الإلهيّة وابتلعها. إنقضّ المهاجمون عليه بالفؤوس والرصاص حتّى شوّهوه، ثمّ ربطوه من رجله وصاروا يطوفون به في الأزقّة مسحوبًا على الأرض إلى أن همّشوه تهشيمًا.

هكذا قضى الأب يوسف مهنّا الحدّاد شهيدًا للمسيح. شهد له بأتعابه وأسهاره، بدمه وأوجاعه.

نخلُصُ به من الغضب* لأنّا إذا كنّا قد صُولِحنا مع اللهِ بموتِ ابنِه ونحنُ أعداءٌ فبالأحرى كثيرًا نخلُصُ بحياتِه ونحنُ مصالَحون.

الإنجيل

(متى ٦: ٢٢–٣٣)

قال الربُّ سراجُ الجسدِ العيُن. فإن كانت عينُك بسيطةً فجسدُك كلُّه يكونُ نيّرًا* وإن كانت عينُك شرّيرةً فجسدكُ كلُّهُ يكونُ مُظلِمًا. وإذا كان النورُ الذي فيك ظلامًا فالظلامُ كم يكون* لا يستطيع أحدٌ أن يعبُدَ ربَّينِ لأنَّه إمَّا أن يُبغِضَ الواحِدَ ويُحِبَّ الآخَرَ أو يلازِمَ الواحِدَ ويَرذُلَ الآخر. لا تقدرون أن تعبُدوا اللهَ والمالَ* فلهذا أقولُ لكم لا تهتمُّوا لأنفسِكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادِكم بما تلبَسون* أليستِ النفسُ أفضلَ من الطعامِ والجسدُ أفضل من اللباس* أنظروا إلى طيورِ السماءِ فإنَّها لا تزرعُ ولا تحصِدُ ولا تخزُنُ في الأهراءِ وأبوكم السماوي يَقوتُها. أفلستم أنتم أفضلَ منها* ومَن منكم إذا اهتمَّ يقدِرُ أن يَزيدَ على قامتِه ذراعًا واحدة* ولماذا

تهتمُّونَ باللباس. اعتبِروا زنابقَ الحقلِ كيف تنمو. إنَّها لا تتعبُ ولا تَغْزِلُ* وأنا أقولُ لكم إنَّ سليمانَ نفسَهُ في كلِّ مجدِهِ لم يلبَسْ كواحِدَةٍ منها* فإذا كان عشبُ الحقلِ الذي يوجدُ اليومَ وفي غدٍ يُطرَحُ في التَّنُّورِ يُلبِسهُ اللهُ هكذا أفلا يُلبِسُكم بالأحرى أنتم يا قليلي الإيمان* فلا تهتمُّوا قائلين ماذا نأكلُ أو ماذا نشرَبُ أو ماذا نلبَسُ* فإنَّ هذا كلَّهُ تطلُبهُ الأمم. لأنَّ أباكم السماويَّ يعلمُ أنَّكم تحتاجون إلى هذا كلِّه* فاطلبوا أولًا ملكوتَ اللهِ وبرَّهُ وهذا كلُّهُ يُزادُ لكم.

تأمل

«عالمين أنّ الشدّة تُنشئُ الصبر، والصبر يُنشئُ الإمتحان، والإمتحان الرجاء، والرجاء لا يخزي».

سوف نكون محبّين لله حقًّا وشاهدين على محبّتنا لله وللقريب، إن كنّا أوفياء لعقيدته، وفي تحمّل المشقّات، والمذمّات، والإهانات، والإضطهادات، والوشايات، بل ولا يُحبِطنّ أيُّ شتمٍ من عزيمة محبّتنا تجاه من فعلوا ذلك بنا. ويعلّمنا ربّنا أيضاً أن نصلّي إلى الله من أجلهم، كما فعل هو نفسه. فعندما إشترك في آلامه وتشبّه بموته (في ٣: ١٠) فاستحقّ إكليل المجد، وصار لنا مثالًا يُحتذى. فبصلواته ليحفظْنا الربّ إلهُنا ثابتين على الإيمان القويم رغم أيّ شيء يواجهنا.

مدارس الأبرشية

بنعمة الرب وببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس جرى مساء الثلاثاء ٢ تموز في رحاب مدرسة البشارة الأرثوذكسية حفل تخريج ٢٣١ طالباً وطالبة أنهوا دراستهم لهذا العام في مدارس الأبرشية: زهرة الإحسان والأقمار الثلاثة والبشارة الأرثوذكسية وثانوية مار الياس بطينا والسيدة الأرثوذكسية ـ رأس بيروت، إضافة إلى طلاب مدرستي القديس كوارتس للتنشئة اللاهوتية والقديس رومانوس للموسيقى الكنسيَّة.

بعد الصلاة توجه سيادة راعي الأبرشية إلى المتخرّجين بالكلمة التالية:

أيّها الأحبّة،

كلَّ عام أتأمّلُ الأجيالَ المنطلقة إلى الحياة، وكلَّ عام أفتكرُ في ما سوف أقولُه لهم، علَّهم يحملون منه زادًا لتلك الحياة.

عندما أقفُ هنا، أنسى لبرهة أنّني أسقفٌ، وأشعر بأنّي أبٌ يسلّمُ أبناءَه المشعل، كي يفردوا أجنحتَهم ويطيروا نحو الهدف الذي جلسوا، لسنواتٍ طوال، على مقاعد الدراسة، يتهيّأون له.

فيا أبنائي وبناتي الأحبّاء،

يقول رئيس جنوب أفريقيا الأسبق نيلسون مانديلا: «إنّ العِلمَ هو السلاحُ الأقوى الذي يمكنكم استخدامُه لتغيير العالَم». نحن نعيش في عالم يتخبَّط في الرذائل، التي يرينا إيّاها الشيطان شهيّةً، على مثال ما فعَلَ مع آدم وحوّاء عندما صوّرَ لهما أنّ ثمرةَ الشجرةِ المحرَّمَة «جيّدةٌ للأكل، وأنّها بهجةٌ للعيون وشهيّةٌ للنظر» (تك ٣: ٦).

مِن هذه الرذائل، شعورُ الإنسان أنّ التنافسَ لذيذٌ، إذ يمنحُه الأملَ بالبقاء كما أنَّ «البقاءَ للأقوى» في شريعة الغاب. لذلك، كَثُرَتْ الحروبُ في عالمِنا: حروبٌ دمويّة، حروبٌ ثقافيّة، حروبٌ إثنيّة، وغيرها من أنواع الحروب التي يشنُّها الإنسانُ إثباتًا للذّات، للأنا.

هنا لا بدَّ من أن نذكُرَ حربًا بشعةً يشنُّها إنسانُ اليوم على نفسِه قبلَ الآخرين، أعني حربَه على الطبيعة. بيئتُنا اليومَ تُحْتَضَر، لأنَّ التنافُسَ بينَ البشرِ أصابَها في الصميم، فاقتُلِعَتِ الأشجارُ وغُرِسَ مكانَها الإسمنتُ الذي يدرُّ أرباحًا أكثر، وأُنشِئَتِ المعامل وتضاعفَتِ السيّاراتُ وكَثُرَتِ القُمامَةُ وغطَّتِ المُلَوِّثاتُ وجهَ الأرض، وحلَّتْ مكانَ الغاباتِ والحدائق، فغزا التصحُّرُ كوكبَنا وارتَفَعَتْ حرارةُ الأرض وتغيَّرَت طبيعتُها، فانقرضَتْ نباتاتٌ وأنواعٌ كثيرةٌ من الطيور والحيوانات، وكَثُرَتِ الجراثيمُ حتّى اعتلَّتْ صحَّةُ الإنسان، وهوَ ما زالَ غيرَ مُبالٍ بما تقترفُ يداه. والأدهى أنَّنا في لبنان نَجهلُ، أو نتجاهَلُ الوضعَ، بل نُمعِنُ في الإساءةِ إلى البيئةِ بواسطةِ مشاريعَ تنعكِسُ سلبًا عليها وعلى صحَّتِنا كإنشاءِ المرامل والكسّارات والمطامر أو المحارق، حتّى أصبحَ بلدُنا في طليعةِ البلدانِ من جهةِ نسبةِ التلوّثِ والإصابةِ بالأمراضِ الخبيثة. ويبشّروننا بإقامةِ محرقةٍ في بيروت، ضاربينَ عرضَ الحائطِ صحتَكم، صحةَ أبناء بيروت، أولادِكم.

يقول لنا ربُّنا على لسان الرسول بولس: «تنافسوا في المواهب الفضلى، وأنا أُريكم طريقًا أفضل» (١كو ١٢: ٣١). ما هي تلك المواهب الفضلى؟ هي كلُّ موهبةٍ لا تسعى إلى إلغاءِ الآخر، أو تشويهِ سمعتِه، أو إنقاصِ قيمتِه، أو تهديدِ حياتِه. هي كلُّ موهبةٍ تُكَمِّلُ الآخرَ وترفعُه. هي كلُّ عملِ محبّةٍ نقوم به من أجل

الآخر. لذلك نقول إنّ العِلمَ هو سلاحُنا الأقوى، لأنّ الإنسانَ المتعلِّمَ حقًّا، لا تهمُّه مكانةٌ إجتماعيّةٌ ولا مكاسبُ ماديّة، إنّما يسعى إلى رفعِ مستوى البشريّةِ العلميّ والثقافيّ والحضاريّ، فيصبحُ العالمُ تذوُّقًا مسبَقًا للفردوس على الأرض.

«العِلمُ ليس تحضيرًا للحياة، إنّما هو نفسُه الحياة»، هذا ما قاله الفيلسوف الأميركيّ، والمُصلح التربويّ John Dewey. ونحن نزيد عليه اليوم ما قاله الربُّ يسوع: «أنا الطريقُ والحقّ والحياة» (يو ١٤: ٦). نعم، العلمُ حياةٌ، لكنَّ الحياةَ من دون المسيح ليست حياةً حقيقيّة. إذا عِشْنا لتحقيقِ أمجادٍ شخصيّة، يصبحُ هدفُنا تدميرَ الآخر لكي نصلَ إلى ما نطمحُ إليه. أليس هذا ما يحدثُ في عالمِنا اليوم؟ كلُّ محبٍّ لأناه يسعى جاهدًا إلى شنّ حربٍ شعواءَ ضدَّ الآخرين، ويظنّ أنّه بذلك يحقّقُ نجاحًا، غير أنّه لا يحقّقُ سوى الموت: الموتِ الروحيّ والنفسيّ والجسديّ. فقط إن اقترنتْ أعمالُنا بالمسيح، وإن أعطينا مجدًا للربّ من خلال نجاحاتِنا، حينئذٍ تتحقّقُ الحياةُ للجميع، ويصبحُ الجميعُ إخوةً يسعون معًا نحو غدٍ أفضل للبشريّة جمعاء، مهما تفاوتت المستوياتُ الإجتماعيّة، ومهما اختلفت الأعراقُ، والديانات، وهذا ما عبّرتْ عنه الأديبةُ الشهيرة Helen Keller بقولها: «التسامحُ هو أسمى نتائجِ العلم»، الأمرُ الواضحُ في كتابنا المقدّس القائل: «ليسَ يهوديٌّ ولا يونانيٌّ، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، ليس ذكرٌ ولا أُنثى، لأنّكم جميعًا واحدٌ في المسيح يسوع» (غل ٣: ٢٨). لذلك، لا نخشَ أنّنا إذا ارتبطنا بالمسيح سوف نفشل، فهذه الفكرةُ يبثُّها الشيطانُ في عقولِنا كي نبتعدَ عن نبعِ الحياة، ويصبحُ هو سيّدًا علينا وعلى أفعالِنا. إلهُنا قال لنا: «ألقِ على الربِّ أعمالَكَ فتُثَبَّت أفكارُكَ» (أم ١٦: ٣)، أي إذا اتّكلْنا عليه في كلِّ شيء، تترسَّخُ أعمالُنا على صخرٍ لا على رمالٍ متحرّكة.

يا أحبّة، لا يمكنُنا أن نعيش كأفرادٍ على هذه الأرض، لأنّ الوحدةَ قاتلة. لا أحدَ يستطيعُ أن ينطوي على ذاتِه ويرتفعُ بمفردِه، إذ في التبادلِ والتحاورِ غنًى للجميع. نحن نتعلَّمُ من كلِّ شخصٍ ونعلّمُ كلَّ شخص. لكنَّ المشكلةَ الكبرى في بلدِنا الحبيب أنَّ الكلَّ يريدون الأخذ، ولا أحدَ يحبّ العطاء. ينسون ما قاله الربُّ أنّ «العطاءَ مغبوطٌ أكثرَ من الأخذ» (أع ٢٠: ٣٥) و«مجانًا أخذتم، مجانًا أعطوا» (متى ١٠: ٨). لذلك أصبح بلدُنا قالبَ جبنٍ تتناتشُه نفوسٌ لا تريدُ سوى القضم. بلدُنا مُرتَهَنٌ لأفرادٍ إختصاصيّين في بثِّ الطائفيّةِ والمذهبيّةِ والكراهيّةِ والمصلحيّة، إختصاصيّين في تعبئةِ الخزينةِ الشخصيّة وإفقارِ الوطنِ والمواطن، وفي تهجيرِ العقولِ وجعلِ البلدانِ الأخرى تستفيدُ منها، بدلاً من تَبَنّيها هنا، في لبنان، لكي نكبُرَ بها ويكبرَ وطنُنا.

فيما أنتم اليومَ على مفترقِ طريق، أوصيكم ألّا تتكبّروا أو تنتفخوا، وخصوصًا ألاّ تيأسوا ممّا تشاهدون وتسمعون، لأنّكم أنتم مستقبلُنا. إيّاكم أن تضعفوا، بل تذكّروا دومًا قول الرسول بولس: «أستطيعُ كلَّ شيءٍ في المسيحِ الذي يُقَوّيني» (في ٤: ١٣).

وفّقكم الربُّ في كلّ خطاكم، التي نطلبُ إليه أن يجعلَها ثابتةً في أرض هذا الوطن الحبيب، علّنا نَشهَدُ قيامةَ لبنانَ الحقيقيّةَ على أيديكم.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei

كان اليهود يصلبونه، كان هو يقول: «يا أبتاه، إغفر لهم، فإنّهم لا يدرون ما يعملون» (لو ٢٣: ٣٤). أنظروا هذه المحبّة الشديدة التي يكنّها لنا، أنظروا إلى هذا الصبر الذي يُربك أولئك الذين يحبّون ذواتهم، العادمي الصبر، الذين تبدو لهم الكلمة كطعنة خنجر، والذين إن لم يُجاوبوا عليها بأربع كلماتٍ يقال إنّ قلبهم سينفجر من الغيظ، هؤلاء يُظهرون أنّهم سائرون من دون النور، وأنّهم لم يطالعوا الكتاب المجيد، كتاب يسوع المسيح. أمّا من قرأه، فليتحمّل عيوب القريب بشفقةٍ ومحبّةٍ أخويّتين. ويُظهر الإنسان محبّته لله أيضاً في مكابدته بصبرٍ واحترامٍ لكلّ ما تهبُه أو تسمح به عناية الله، دونما سعيٍ قطّ إلى تقصّي أفكار الله، ومن دون أن يتبيّن في كلّ شيء سوى محبّة الله اللّامتناهية. فهو الذي، لأجل معاقبة الزلّة، قد أسلم نفسه لموت الصليب المُخزي، فجعل من جسده سَنَدانًا يطرِّق عليه الإنسان الجديد بنار محبّته، مستخدمًا مطرقة الآلام العظيمة الشديدة الوطأة وتحمَّل جهلنا، وتهاوننا، لأنّه كان جائعًا إلى خلاصنا.

كاترينا السيّانية